الكهوف المعنوية في قصص سورة الكهف

إعداد : سوكمتو سعيد*

Abstrak

Tulisan ini membahas pesan-pesan yang terkandung di dalam al-Qur'an adalah bahwa surat ini berbicara tentang rahasia-rahasia kehidupan tentang makna perjuangan membela kebenaran, makna kehidupan, makna kesabaran/ ketabahan dalam menghadapi kenyataan hidup, makna kekuasaan dan apa yangharus dilakukan oleh orang yang berkuasa terhadap rakyatnya agar mereka lebih berdaya. Memang, sesuai dengan namanya, al-Kahfi yang secara harfiah berarti goa, sebuah tempat yang seringkali dibayangkan orang mengandung banyak rahasia kehidupan manusia. Hanya saja, sejauh mana rahasia kehidupan ini dapat terungkap, hal ini tergantung pada sejauh mana wawasan seseorang mengenai hal itu. Penulis, dalam hal ini, tidak berpretensi menampilkan seluruh rahasia yang terkandung di dalamnya, karena memang sesuatu yang tidak mungkin. Namun setidaknya, tulisan ini diharapkan dapat mendorong pengkajian tentang rahasia kehidupan yang terkandung dalam surah al-Kahfi oleh penulis-penulis lain.

Abstract

This paper tries to describe the messages of chapter of al Kahfi. *The interesting stories in this chapter tells us the secret of life: on the struggle to defend the truth; on the meaning of life; on the meaning of patience in facing the life realities; on meaning of power. And what must to do by the power people to his people in order to have power more. Really,* al Kahfi *literally means a cave, a place in the mind set of people contains the secrets. This chapter contains many secret of people life. How far is the secret of life taken by this chapter depend on how far the people prepared theirselves by the relevant knowledge of this chapter. The writer in this case does not appear the all secret of this chapter, however it is an impossible thing. But at least, by this paper the writer expects to support the study of life secrets of* al Kahfi *chapter by other writers.*

الكلمة الأساسية: الكهوف المعنوية، القصص، العبرة

* أحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الأدب بالجامعة الإسلامية الحكومية سونان كالي جاغا يوكياكرتا.

أ. مقدمة

مما يلفت النظر أن قدرا كبيرا من القرآن يعالج ما يسمى بالقصص القرآني وذلك لأن القصص يحتوي على قيم وعبر يمكن أن نستـــفيدها في حياتنا. والقرآن بوصفه كتاب هداية للناس يحتوي على إرشادات قيمة لحياة الناس. والقصص من أهم العوامل التي لجأ إليها القرآن في الجدل والحوار وفي التبشير والإنذار وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية والتمكين لها وفي تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب من اتبعه من المهاجرين والأنصار.[1] وفي هذا الصدد قال محمد الغزالي : المقصد الأسمى (من القصص) أن يفهم المسلمون سنن الله الكونية والاجتماعية وأن لا يحاولوا القـــفز من فوق سنن الله وأن يعوا أنهم لم يمكّـــنوا في الأرض إلا إذا تفاعلوا التفاعل الصحيح مع هذه السنن.[2] والمراد بالكهوف المعنوية هنا الأسرار أو الإشارات التي يمكن أن نستـــفيد منها لأجل مصالح حياتنا. إذ للقرآن معنى ظاهر يفهمه كل من يفهم اللغة العربية ولـــه كذلك معنى باطن يفهم من الإشارات البيانية.

والمعنى الباطن عند الغزالي هو تحري الدقائق التي تكون في مطوى الألفاظ القرآنية والأسرار التي لا يدركها إلا العلماء الراسخون في الإسلام والعلوم المختلفة . كل بمقدار طاقته العلمية . فما وراء الألفاظ من معان علمية لا يدركها إلا الراسخون في العلوم المختلفة. لذلك، كلما اتسع أفق العقل البشري في فهم الكون والحقائق والشرائع اتسع فهمه للقرآن الكريم. في هذا المضمار قال الغزالي : إنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بمقدار غزارة علمهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب. ويكون لكل واحد حد في الترقي من درجة إلى درجة أعلى منها. فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه.[3] فلا عجب أن يكون القرآن مشغلة الدارسين والعلماء جيلا بعد جيل، ثم يظل أبدا رحب المدى سخي المورد. كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح عاليا يفوت طاقة الدارسين.[4]

ب. لمحة عن سورة الكهف

تحتوي هذه السورة على ١١٠ آية . أما المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها فإنها افتتحت بالتحميد (الحمد لله الذي أنزل عليه الكتاب ولم يجعل له عوجا) بينما افتتحت السورة التي قبلها بالتسبيح (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا..)والتحميد والتسبيح لهما علاقة قوية. وقد ذكر في سورة الإسراء وهي السورة التي قبلها : "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" والخطاب فيها لليهود بينما ذكر في هذه السورة قصة

---

١ محمد أحمد خلف الله ١٩٥٠-١٩٥١، *الفن القصصي في القرآن الكريم*، القاهرة: مكتبة النهضة المصـــرية ، ص ٨

٢ الشيخ محمد الغزالي، ١٩٨٩، *المحاور الخمسة للقرآن*. القاهرة : دار الوفاء، ص ٦

٣ محمد أبو زهرة ، بدون سنة، *المعجزة الكبرى في القرآن* ، بيروت: دار الفكر، ص ٥١٥ - ٥١٦

٤ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ١٩٨٤، *الإعجاز البياني للقرآن*، القاهرة: دار المعارف، ص : ١٩

موسى – وهو نبي بني إسرائيل– مع العبد الصالح وقد دلت هذه القصة على معلومات الله التي لا تحصى فهي كهوف معنوية لا يدركها كثير من الناس إذ هم كثيرا ما ينظرون إلى ظاهر الأحداث مع أن هناك أشياء وراء الأحداث غابت في أذهان كثير من الناس، وهذا دليل على غاية قلة علم العباد بالنسبة إلى علم الله. وفي هذه المناسبة قال الله تعالى في أواخر سورة الكهف : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" [٥]

سورة الكهف من سور القرآن المليئة بكهوف معنوية تحتاج معرفتها إلى التدبر والكشف عن أسرارها. فيها خمس قصص وهي : أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وموسى مع العبد الصالح وذو القرنين ويأجوج ومأجوج .

القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة وهو أخبار وقعت لنعرف منها كيف تم تطبيق منهج الله عمليا وكيف ينتصر الحق على الباطل وكيف أن الله يحق الحق بكلماته. فالقصص في القرآن مقصود منه العبرة[٦] كما قال تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب..."[٧] ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين. ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره يدل على ذلك أن القرآن أخفى أبطال القصص الحقيقيين كما أخفى زمانها ومكانها . فلا يهمنا البحث – مثلا– عمن هو فرعون موسى هل هو رمسيس الثاني أو غيره إذ المقصود من هذا القصص هو العبرة بوجود إنسان يريد أن يعبد في الأرض وجبار يعصي الله ويظلم كما فعل فرعون. وفي قصة ذي القرنين ، هل هو حاكم الصين أو الحبشة أو اليمن؟ هذا لا يهمنا، إنما يهمنا أنه رجل مصلح فزاده الله صلاحا وأنه يتولى زمام الأمور فيزيد الله ملكه صلاحا. فقد تكرر وسيتكرر مثل هذين البطلين في الأزمان المختلفة. فهناك حاكم مستبد وهناك حاكم صالح [٨]

القصة في القرآن بعضها بالتفصيل والبعض الآخر بإيجاز قد يقتصر على مجرد الإشارة. وهي تنطوي على المبادئ التي لو طبقناها في حياتنا اليوم لأقامت المجتمع الذي يسوده العدل والأمن والسلام. فقصة قابل وهابيل هي استنكار إلهي لشريعة الغاب التي كثيرا ما أنزلت بالبشرية عديدا من الكوارث والنكبات، وقصة إبراهيم دعوة إلى استخدام العقل في أفعالنا وتصرفاتنا سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، وقصة أيوب عليه السلام رمز في الصبر بمعناه الإيجابي.

---

[٥] سورة الكهف : ١٠٩

[٦] العبرة من العبور أي الانتقال من شيء إلى شيء . والعبرة تتحقق بأن ترى المخاطر فلا تقع فيها أو ترى الخطأ فتتجنبه أو ترى الخير فتفعل مثله أو ترى الشر فتبتعد عنه

[٧] من سورة يوسف : ١١١

[٨] الشيخ متولي الشعراوي ، ١٩٩٠، *قصص القرآن في سورة الكهف*. القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم، ص :٥

ج. قصة أصحاب الكهف

أصحاب الكهف قوم يفرون من الطغاة الذين يحاولون أن يجبروهم على الكفر بالله فيفروا بدينهم ويختبئوا في كهـــف، كما قص القرآن : " وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا " [٩] هؤلاء الفتية خافوا على دينهم وخافوا على عقائدهم من أن يجبرهم حكامهم على عبادة غير الله ففروا إلى كهف يختبئون فيه من الطغاة الكفرة. وعلى الرغم من أن الكهف مكان ضيق إلا أنهم بسبب رحمة الله لا يحسون بضيق المكان، كما قال تعالى :"ينشر لكم من رحمته"

ومن رحمته بأهل الكهف أنه لم يجعلهم يفكرون في أنهم مضطهدون حتى لا يعيشوا في قلق ورعب من أن يلحق بهم الطغاة أو أن يكشفوا مخبأهم كما أزال من حياتهم هم البحث عن الطعام والشراب. فقد ألقى الله عليهم النوم في الكهف فلا يعثر عليهم أحد ولا يشعرون بالوقت ولا يحتاجون إلى طعام أو شراب. ومن العادة أن ينام الإنسان يوما أو بعض يوم. أما هؤلاء الذين يطلق عليهم أصحاب الكهف فأنامهم الله ثلاثمائة عام وتسعة إلا أن الله أخفى المكان والزمان وأخفى أسماء الفتية وعددهم. كل هذه الإخفاءات له حكمة هي أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يشيع عمومية الحدث في كل الأزمان والأمكنة بمعنى أن مثل هذا الحدث يمكن أن يحدث في أي زمان وفي أي مكان لأي عدد من المؤمنين الذين يفرون بدينهم من طغيان الكفر، فهؤلاء تشملهم رحمة الله.[١٠] فالعبرة التي يمكن أن نستـــفيد منها أن كل من يفر بدينه و يجاهد في سبيل دينه إلى مكان غير الذي يقيم فيه مهما كان ضيقا فإن الله برحمته يجعله واسعا رحبا، وأن من ينصر الله فالله سينصره. من هنا لا بد من إزالة الريبة في نشر وإقامة دين الله.

د. قصة صاحب الجنتين

قال الله تعالى : "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففـــناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيرا منها منقلبا " [١١]

إن الجنتين أعطتا صاحبهما بالأسباب أي بما أن صاحب الجنتين زرع وحرث وسقى واعتنى أعطته الحاصلات الكثيرة، فالأرض لم تظلمه. فمادام صاحبها زرعها أعطته الحاصلات الزراعية، غير أن كثيرا من

---

[٩] سورة الكهف : ١٦

[١٠] اقرأ ، الشعراوي ، *نفس المصدر*. ص ٧ – ٢٢

[١١] سورة الكهف : ٣٢ – ٣٦

الناس لا يتنبهون أن هناك مسبب الأسباب، فبدل أن ينسبوا الأرزاق إلى الله نسبوها إلى أنفسهم.واستمر القرآن يقص علينا :

"وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا" [١٢]فالكهف المعنوي الذي نستفيده من هاتين الآيتين أن الإنسان كثيرا ما ينسى معطي الرزق الحقيقي. فهذا الغرور يجعله يتفاخر على غيره من الناس في الأموال والأولاد فقيل له : "ودخل جنته وهو ظالم لنفسه" فالظلم الذي ارتكبه أنه نسب قدرات الله لنفسه، فيشعر أنه نفسه هو الذي أوجد كل ما حصل عليه من الأموال والأولاد معتقدا أن النعمة التي حصل عليها لا تزول وأكثر من ذلك أنه أنكر البعث، وإن كان هناك يوم البعث فهو يعتقد أنه سيحصل على نعم أكبر ظنا منه أن نعم الدنيا دليل على نعم الآخرة ورضا الله تعالى وأن المنعَّم في الدنيا سيكون منعَّما في الآخرة، فهذا غير صحيح. بدليل قول الله تعالى في سورة التوبة : "فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون" [١٣]هذه الآية دليل على أن نعم الدنيا من الأموال والأولاد وغيرهما ليست دليلا على نعم الله في الآخرة[١٤] فالنعم الدنيوية ليست مقياسا للنعم الأخروية وحصولها في الدنيا ليس دليلا على حصولها في الآخرة..

في هذه القصة يضرب الله مثلا برجلين جعل الله لكل منهما جنة ولكن الأول نسب النعمة لنفسه ولعلمه بينما نسب الثاني النعمة لفضل الله سبحانه وتعالى.حينئذ يحاول الثاني أن يرده إلى الصواب، كما قال تعالى: "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا "[١٥] حاول الثاني أن يفيق صاحبه من غروره بمنطق الإيمان وهو أن الله هو الذي أعطى النعم كلها واستطاع أن يذهبها متى شاء ، فالفضل لله لا للإنسان.

نستفيد من هذه القصة أن الأسباب لا تعطي بذاتها ،إن وراءها دائما إرادة المسبب . فلا بد من الابتعاد عن عبادة الأسباب حتى لا تغرنا الدنيا فنعتقد أننا نستطيع أن نفعل بذاتنا دون الاستعانة بالمسبب، فالأسباب تحمل مشيئة المسبب وهو الله سبحانه وتعالى. إن الإنسان السطحي هو الذي يقف عند الأسباب. أما المتعمق فهو الذي يقف عند المسبب. يعطي الله في هذه القصة مثلين في الدنيا: مثل للإيمان ومثل للكفر. فالمؤمن ينظر إلى حقائق العطاء ولا ينظر إلى ذات العطاء، لأنه قد يكون في المنع عطاء ويكون المنع أثمن من النعمة ذاتها.ولنضرب لذلك مثلا : حين يطلب الابن من أبيه أن يشتري له مسدسا فيرفض الأب. قد يعتقد الابن أن أباه قد منعه من شيء يريده، ولكنه في الحقيقة أعطاه الأمان وهو أثمن من السلاح الذي كان سيشتريه. إذن قد يكون العطاء شرا وقد يكون المنع هو العطاء الأوسع.فالمؤمن يحسن

---

١٢ سورة الكهف : ٣٤ -٣٥

[١٣] سورة التوبة ، ٥٥

١٤ اقرأ الشعراوي ، *نفس المصدر* ص ٣٣ - ٣٦

[١٥] سورة الكهف : ٣٧ و ٣٨

الظن بالله العليم الحكيم. فجميع ما أصابه كله خير بالنسبة له: لن ييئس من رحمة الله ولن يفرح بما آتاه الله من نعم مصداقا لقول الله تعالى:. "لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"[١٦]. أما الكافر فإنه ينظر إلى ذات العطاء ولا ينظر إلى حقيقته وهو ينظر إلى السبب ولا ينظر إلى ما وراء السبب.

هـ. موسى والعبد الصالح

هناك أشياء ظاهرة في الكون وهناك أيضا كهوف تخفي الحقائق قد لا نتنبه لها. كثيرا ما نقف عند الأشياء الظاهرة مع أن هناك أشياء باطنة لو أدركناها لما تضيق صدورنا، وذلك هو سبب من أسباب ما نعانيه من متاعب الدنيا.[١٧] فإذا حدث أمامنا شيء نكرهه اعتقدنا أنه شر، وبالعكس إذا حدث شيء نحبه اعتقدنا أنه خير، وذلك لأننا لا نرى الأشياء كما هي وإنما نراها كما في ظاهرها. فالعبرة التي يمكن أخذها في قصة موسى والعبد الصالح هي أن لله أسرارا في هذا الكون لو عرفها الناس كما هي لأصبحوا صابرين ولا تضيق صدورهم بأقدار يرونـــها أمامهم. لذلك قال العبد الصالح لموسى عليه السلام: "قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا " [١٨].

إن كل حدث في الكون له حكمة: لو وقع حدث على غير مرادنا أو غير ما نريده فإننا لا نأخذ هذا الحدث بظاهر حدوثه، وإنما لا بد لنا من معرفة أن له حكمة أخفاها الله عنا وهي خير لنا، وعند ما يأتي الوقت الذي يطلعنا الله سبحانه وتعالى فيه على هذه الحكمة فإننا نحمد الله على قضائه. ولذلك عندما فسر العبد الصالح سر ما فعله لموسى عليه السلام عرف أن ما فعله العبد الصالح خير، ولو أوتي موسى العلم لفعل مثل ما فعل العبد الصالح إلا أن رؤية موسى عليه السلام للظاهر فقط جعلته ضيق الصدر لا يصبر على ما يحدث.هناك ثلاثة أحداث لا يستطيع موسى أن يصبر أما الحدث الأول فيتمثل في قوله تعالى: "فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا"[١٩] والحدث الثاني في قوله تعالى : " فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا". [٢٠] والحدث الثالث في قوله تعالى : " فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا".[٢١]

ويبدو أن موسى عليه السلام في هذه الأحداث الثلاثة لا يستطيع أن يصبر على ما فعل العبد الصالح رغم أنه يصر على أنه سيكون صابرا ، وذلك لأنه إنما يعرف ظاهر الأمر. ولو آتاه الله حقيقة الأمر

---

١٦ من سورة الحديد : ٢٣

١٧ اقرأ الشعراوي ، *نفس المصدر*. ٤٤

١٨ سورة الكهف : ٦٧ – ٦٨

[١٩] سورة الكهف : ٧١

[٢٠] سورة الكهف : ٧٤

[٢١] سورة الكهف : ٧٧

مثل ما آتاه الله العبد الصالح سيكون بالطبع صابرا على ما فعل. ولا يهمنا مسألة الأفضلية بين العبد الصالح وموسى عليه السلام كليم الله، إنما يهمنا ماذا نستفيد من هذه القصة من العبر منها أهمية الصبر تجاه الأحداث اليومية وتحمل المشاق في سبيل النجاح في الحياة.

. إن مسائل خرق السفينة وقتل النفس الزكية وإقامة الجدار الذي يريد أن ينقض لأهل قرية أبوا أن يضيفوهما في القصة السابقة أمور تتعارض مع منطق كل عاقل. إن مثل هذه الأحداث متكرر في كل زمان ومكان في هذه الدنيا . إذن، هذه القصة تمثل واقع حياتنا اليومية حيث وجدنا فيها كثيرا من التناقضات . هذه القصة تعلمنا بأن وراء كل الأحداث حكم باطنة لا بد من تعقلها والوقوف منها موقفا صابرا من شأنه أن يجعلنا متفائلين غير يائسين حتى نرى الأشياء رؤية إيجابية.

هناك كثير من الأحداث التي لا نريد أن تحدث وقد نريدها ولكنها لا تحدث. هذه القصة تنبهنا بأن الأحداث ليست بيد الإنسان، فالواجب عليه أن يصبر عليها والسعي إلى فهم الحكمة الكامنة وراء الأحداث وأن الصبر مهم جدا في هذه الحياة، ذلك لأن الصبر مفتاح الفرج. والصبر المراد هنا هو تحمل كل ما يتعرض للإنسان من آلام جسمية ونفسية واثقا بالنجاح فيما سعى إليه.

إذن يمكننا أن نقول أن هذه القصة تعلمنا أهمية الصبر في هذه الحياة وذلك لأن ظواهر أحداث الكون قد لا تدل على حقيقتها. إن عدم علمنا قد يجعل صدورنا تضيق بأقدار الله. فلو عرفنا أن لله حكمة في كل أقداره لما ضاقت صدورنا بها ولصبرنا على أقداره. إن الصبر في تحمل مشاق الحياة من شأنه أن يوصلنا إلى النجاح في كل ما نصبو إليه.

و. قصة ذي القرنين

لا يهمنا هل هو حاكم الصين أو اليمن أو الحبشة أو الروم أو غير ذلك. إنما يهمنا أنه رجل مصلح مكّنه الله من الأسباب في الأرض : أعطاه الله الملك وأسباب الدنيا وأسباب القوة، واستخدمها للغاية التي من أجلها أُعطي الأسباب. كما قال تعالى : " الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور"[٢٢] هذه الآية هي الغاية التي يجب أن يعمل من أجلها كل من يمكن في الأرض.

قال الله تعالى : "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنّا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا." [٢٣] سأل اليهود رسول الله عن قصة ذي القرنين.فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقصة ذي القرنين. إنه رجل أعطاه الله الملك والأسباب. والنقطة الهامة هنا أنه أتبع سببا أي أنه لا يأخذ الأسباب وسكت دون أن يعطي شيئا. إنه أخذ الأسباب واستخدمها

---

[٢٢] سورة الحج : ٤١

[٢٣] سورة الكهف : ٨٣ – ٨٥

للوصول إلى الأهداف التي أعطيت له من أجلها. إن الملك أو السلطة في الحقيقة من الله سبحانه وتعالى، ولو كان من البشر لاحتفظوا به ولن ينـــزع منهم. من هنا نفهم قوله تعالى : " وتنـــزع الملك ممن تشاء" وحتى الكافر فإنه يأخذ الملك بأسباب الله كما صرح به القرآن الكريم: "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الله يحي ويميت قال أنا أحي وأميت ..."[٢٤] غير أن الكافر وجّه الملك أو السلطة للكفر والإلحاد والتكبر، أما المؤمن فوجّهه للإصلاح. أي أنه أخذ الأسباب التي هي الملك أو السلطة واستخدمها للوصول إلى الأهداف التي من أجلها أعطي الملك أو السلطة وهي إصلاح المجتمع. لقد أعطى الله ذا القرنين أسباب الملك فاستخدمها للإصلاح حيث يعدل الميزان بين الحق والباطل وبين المحسن والمسيء. لقد روى لنا القرآن الكريم : "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا. "[٢٥] فوظيفة الممكن في الأرض أن يضع العقوبات الدنيوية للمفسد الظالم ولكنها ليست نهاية الجزاء إذ هناك عذاب في الآخرة. فلا أحد من الظالم يفلت من العذاب.

كان ذو القرنين بصفته رجلا أعطي الملك والحكم لا يستقر في مكان واحد ولكنه ينتقل من مكان إلى مكان آخر ليعالج الأمراض الاجتماعية التي تفسد المجتمعات البشرية وليضع منهج الحياة حتى لا تعود مثل هذه الأمراض تفتك البشرية من جديد.أما منهج الحياة المراد هنا هو إقامة ميزان العدل في المجتمع بضرب المسيء وإثابة المحسن، ونصر المظلوم على الظالم ونصر الضعيف على القوي وذلك عن طريق إعطاء الضعيف شيئا يمكنه أن يزيل ضعفه كما يتمثل في قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج. لقد وجد ذو القرنين في رحلته قوما ضعفاء لا يملكون من العلم ولا من أسباب القوة ما يمكنهم من حماية أنفسهم. " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ".[٢٦] هؤلاء القوم المستضعفون استنجدوا بذي القرنين وقد استعدوا لأن يدفعوا مبلغا من المال مقابل أن يحميهم من فساد يأجوج ومأجوج ولكن لا يغريه مالهم الذي يعرضونه حيث قال: " ما مكّني فيه خير"[٢٧].

كان ذو القرنين يستطيع أن يبقى حتى يبدأ يأجوج ومأجوج هجومهم ثم يهاجمهم ويهزمهم ولكنه لا يفعل ذلك بل يطلب من القوم المستضعفين أن يعينوه ليساعدهم على حماية أنفسهم، كما يقص علينا القرآن الكريم : "فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما".[٢٨]

---

٢٤ سورة البقرة : ٢٥٦

٢٥ سورة الكهف : ٨٧ – ٨٨

٢٦ سورة الكهف : ٩٤

٢٧ سورة الكهف من الآية ٩٥

٢٨ سورة الكهف من الآية : ٩٥

يريد ذو القرنين من هؤلاء الضعفاء أن يتعلموا كيف يحمون أنفسهم فعلّمهم بناء السد حتى يعرفوا ويتدربوا على ذلك، فإذا أصاب السد شيء استطاعوا أن يصلحوه بل سيستطيعون فيما بعد أن يبنوا السد بأيديهم. وهكذا نرى أن ذا القرنين لا يستعين بجيشه ولا بأناس آخرين ولكنه استعان بهؤلاء الضعفاء حيث طلب منهم أن يأتوا بالحديد وغيره من المواد لبناء السد. فبهذا قوّى ذو القرنين هؤلاء الضعفاء الذين كانوا يهاجمهم يأجوج ومأجوج بأن علّمهم كيف يعينون أنفسهم وكيف يبنون السد، وهم يشتركون في البناء، ويعينهم ذو القرنين بخبرته وعلمه فقط.

فالكهوف المعنوية التي يمكن أخذها من هذه القصة أن من مهام الحاكم الممكن في الأرض أن يقوّي شعبه ويجعله قادرا على حماية نفسه وأن يضرب على يد المسيء الظالم وأن لا يتركه بلا عقاب في الدنيا، وأن يكافئ المحسن ليزيد في إحسانه وأن يعوّد الناس على العمل ويعلمهم كيف يعملون حتى يتحولوا من مجتمع ضعيف إلى مجتمع قوي.

لأجل ذلك، لابد أن يكون العمل الذي يقوم به الشعب مؤديا للغرض كما يتمثل في قوله تعالى: "فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا". [٢٩]إن هذه الآية تعلمنا أن نتقن أعمالنا حتى تحقق الهدف المطلوب منها. فالسد –مثلا– لا بد أن يحقق هدفين: الأول أن يكون من المتانة والقوة بحيث لا يستطيعون أن يحدثوا فيه ثقبا يمكن أن ينفذوا منه. والثاني أنهم لا يستطيعون أن يتسلقوه وينـــزلوا من فوقه. وقد حقق السد الهدفين.إذن، من العبر التي يمكن أن نستـــفيد منها إتقان العمل.

ل. الخلاصة والاختتام

مما تقدم يمكننا أن نلخص عدة نقط أساسية كما يلي: إذا كان القصص من أهم العوامل التي لجأ إليها القرآن في شرح هدايته المتصلة بحياة الناس فإن من هدي القرآن الذي تحتوي عليه سورة الكهف : *أولا* ، تثبيت قلوب المؤمنين الذين يجاهدون في سبيل الله وزيادة ثقتهم بعون الله ورحمته لكيلا ييئسوا من رحمته تعالى عندما تحمّل مشاق الحياة . *ثانيا* ، إن الحصول على النعم الدنيوية ليس دليلا على الحصول على النعم الأخروية، وليس دليلا على رضى الله تعالى، لأجل ذلك لا تغرنّ الإنسانَ الحياة الدنيا وزخارفها. وعلى الإنسان أن يعي بأن وراء كل سبب مسببا فلا يجوز له أن يقف عند السبب ولكن لا بد له أن يتجاوز إلى المسبب وهو الله. *ثالثا*، إن وراء كل الأحداث في الدنيا حِكَما سامية لا يدركها أكثر الناس، الأمر الذي يجعلهم لا يصبرون. بناء على ذلك ، لا بد للإنسان من الوعي بوجود هذه الحكم في كل الأحداث. إن هذا الوعي من شأنه أن يجعله أكثر صبرا في مواجهة كل التحديات، ومن الجدير بالعلم أن الصبر هو مفتاح النجاح في الحياة. *رابعا*، إن الملك أو السلطة أمانة من الله تعالى فلا بد أن يكون صاحبها أمينا بأن يستخدمها لأجل مصالح الناس، منها إقامة العدالة و نصر الضعيف على القوي. والنقطة

---

[٢٩] سورة الكهف : ٩٧

الهامة التي يمكن أن نستـــفيد من قصة ذي القرنين في هذا الصدد أن نصر الضعيف يكون بطريق تقوية النفس بحيث يستطيع أن يعين نفسه في مواجهة تحديات الحياة ويدافع عنها. ولا بد لذلك من إتقان العمل.

إن سورة الكهف مليئة بالأسرار والقيم المعنوية وفقا لاسمها (وهو الكهف) حيث إنه كثيرا ما يكون مليئا بالأسرار . هذه هي بعض الكهوف المعنوية التي يمكن أخذها من سورة الكهف. بالطبع إن هذه القيم والأسرار ليست بالتحديد فقد تكون هناك كهوفا معنوية لم نعثر عليها بعد في هذه السور. فنسأل الله أن يوفقنا إلى ما يرضيه وأن ينفع هذه المقالة المتواضعة وأن ينور قلوبنا بنور هدايته. عليه توكلت وإليه أنيب. والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

محمد أحمد خلف الله ، *الفن القصصي في القرآن الكريم*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية

الشيخ محمد الغزالي، ١٩٨٩، *المحاور الخمسة للقرآن*. القاهرة : دار الوفاء

الشيخ متولي الشعراوي، ١٩٩٠، *قصص القرآن في سورة الكهف*. القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم

محمد أبو زهرة ، *المعجزة الكبرى في القرآن*، بيروت : دار الفكر، بدون سنة

عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ١٩٨٤، *الإعجاز البياني للقرآن*، القاهرة: دار المعارف